

الحمد لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه ، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آل بيته وصحابته والمهتدين بهداه إلى يوم الدين ، أما بعد: عباد الله فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فما تواصى بمثلها المتواصون قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) .

عباد الله: تتفاوت الفرائض الشرعية المكلف بها العباد فمنها ما يكون مرة في العمر ومنها ما يكون مرة في العام أو شهراً منه ومنها وهو أجلها وأزكاها عند الله ما يكون في كل يوم وليلة خمس مرات ، تلکم هي الصلاة التي امتدت فرضيتها لتشمل الذكر والأنتى والمسافر والمقيم والبادي والحاضر والحارب والآمن والغني والفقير ، جعلها الله تعالى قرة عيون الموحدين القائل إمامهم عليه أزكى الصلاة والتسليم (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

إنها الصلاة التي ملأت فضائلها أسماع العالمين بما أعد للمحافظين عليها. قال صلى الله عليه وسلم: ((صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما، كتاب في عشرين)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر)) ، وقال مرة عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه: ((أكثر من السجود، فإنه ليس من مسلم يسجد لله تعالى سجدة إلا رفعه الله بها درجة في الجنة، وحط عن بها خطيئة)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)).

إنها الصلاة التي لا تُغني عنها التكليف الشرعية بأسرها ولو جيء بها على أتم وجه وأكمله، قال عليه الصلاة والسلام (لا دين لمن لا صلاة له) وقال عليه الصلاة والسلام (ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة) وقال (وليس بين الرجل والكفر إلا ترك الصلاة) وقال (من ترك صلاة متعمداً برئت منه ذمة الله).

هي أول وأجل فروض الإسلام ، فرضها الله تعالى فوق سبع سماوات يخاطب بها رسوله الله صلى الله عليه وسلم ، وهي آخر ما أوصاكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو يعالج سكرات الموت قائلاً (الصلاة الصلاة).

الصلاة عباد الله هي محل المحاسبة الذي يستبين به المرء حاله مع الله فإن أضعافها فهو لما سواها من أعمال البر أضيع ، وإن حسننها وأداها كانت ناهياً عن المنكر يلازمه ويقوم به ويحدوه في المسير إلى الله والدأر الآخرة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).

إنَّ الصلاةَ عبادَ الله جاءَ الأمرُ بالمحافظةِ عليها جماعةً في المساجد. قال تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وتمام المحافظة التي أمر الله بها وكمال الإقامة التي يريد الله لا يحصلان للمكلف إلا بأداء الصلوات في جماعة، لقوله تعالى: (واركعوا مع الراكعين) ، ولعظم أمرها لم يسقط التكليفُ بها في ثغور الجهاد ولا عند فقد الطهور ولا عند انكشاف العورة قهراً أو اشتباه القبلة ولا عند العجز عن القيام بالأركان ، بل كان لكل هذه الأحوال وما هو أشد منها هيئاتٌ تناسبُ المكلف لا عذر له في ترك الصلاة من أجل قيامها به ، وفي حديث القرآن عن الفرائض لم يذكر شعبةً من شعب الإسلام كما ذكرها ، ولم يذكر مجموعةً من التكاليف إلا والصلاة رأسُ هذه المأمورات في إشارة إلى أنها مفتاحُ الخير وعمود الدين ، بل افتتح الله بها صفات المفلحين من أوليائه المتقين (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، جعلها الله تعالى مغتسلاً بارداً من الآثام والمناكر التي نغشاها بقلوبنا وأسماعنا وأبصارنا وأيدينا وأقدامنا ليل نهار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا) ، فسحقا سحقا لمن يَحترقُ ويزيد لهب حريقه بترك الصلاة والتهاون فيها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله ملكا ينادي عند كل صلاة يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها).

هذه هي الصلاةُ عبادَ الله وأكثرُ من ذلك ، فهي الصلةُ بين العبد ومولاه ، وهي أقربُ طرق اللججِ والمناجاة ، لذتها تفوقُ كل الملذاتِ في نفوسِ الصالحين ، يغتذي بها بدنُ المصلي وروحه ، ويستضيءُ بها وجهه وقلبه ، وبأدائها يتقوى على كل ملمات الدين والدنيا والآخرة فيجدُ اليسرَ والتوفيقَ حليفاً له في دنياه وعند تزل الموت وعند السؤال ويوم يُعرضُ على الله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) هي سببٌ مهمٌّ من أسباب تحصيل الرزقِ وكفايةِ همِّه كما قال الله (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك) وهي بابُ القربِ الممنوحُ المفتوحُ كما قال الله (واسجد واقترب) وفي الصحيح (أنَّ

العبد أقرب ما يكون من ربه إذا سجد) ، فأين أهل الضنك والكبد والهموم عن الراحة التي أودعها الله في الصلاة ، أين من تقاسمه النَّصَبُ واللَّغوبُ وأعياءُ المفرِّ والمُهرَّب ، أين الحيارى العاجزون عن استدفاع الظلم وقد قلَّ النَّاصرُ أما علم أولئك وغيرهم أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان يفرُّ إلى الصلاة عند الشدائد والملمات قائلاً (أرحنا بها يا بلال). وأين المطففون الذين يسمع أحدهم هذه الفضائل وغيرها ويشكو من عدم أثر تركه الصلاة عليه ، ناسياً أو متناسياً وقوفه في الصفِّ ببدنه وقلبه طَوَّافٌ بأرجاء شواغل الدنيا ، يؤديها أداء المعتاد على بعض التمارين والحركات ، وينقرها نقراً أعجز الديكة ذوات المناقير ، يقف فلا تتحرك بالأذكار شفتاه ، ولا تسكن في موضع السجود عيناه ، ولسان حاله يقول (أرحنا منها يا مؤذن ويا إمام) فليتنق الله أقوام في ركن الدين الأعظم ويعلموا أن ترك الصلاة والتهاون فيها أهم موجبات الزج في النار قال الله تعالى (ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين) وقال عن حطب جهنم المنافقين (يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى).

___ عباد الله: لما وفر تعظيم الصلاة وأمر الله في قلوب الصحابة هانت أمامهم كل الصعاب في سبيل المحافظة على صلاة الجماعة حتى وإن بعدت بيوتهم عن المسجد النبوي فقد كانوا يأتون يسعون إليها، يمرض الواحد منهم فيهادى بين الاثنين ليدرك الجماعة ، والأعمى منهم يسابق البصير على الصف الأول، وليس فيهم أعمى رضوان الله عليهم. يقول ابن مسعود رضي الله عنه يصاحف حال أولئك السعداء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه: (من سره أن يلقي الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن - يعنى في المسجد - فإن الله شرع لنببيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم، كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفع بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) وأتى ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله: إني رجل ضرير البصر، بعيد الدار، ولي قائد لا يرافقني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي قال: ((أسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح، قال نعم فقال: فحي هلا)) وتأمل أعداره الشرعية الثلاثة من ذهاب البصر

وَبُعْدَ الدَّارِ وَعَدَمَ القَائِدِ وَمَعَ ذَلِكَ يُحْضُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَهُودِ الجَمَاعَةِ ،
وَيَتَوَجَّعُ أَبِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا أَحَدَ الأَنْصَارِ يَكَابِدُ المَشَاقَ حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى صَلَاةِ الجَمَاعَةِ وَهُوَ
بَعِيدُ الدَّارِ وَلَا مَرْكَبَ لَهُ وَلَا حِمَارَ ، فَقَالَ: لَوْ اشْتَرَيْتُ حِمَارًا يَقِيكَ الرَّمْضَاءَ وَهُوَ الأَرْضُ؟
قَالَ الأَنْصَارِيُّ: أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ يَبِيَّتِي مَطْنَبَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قَالَ أَبِي لَمَّا
سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَحَمَلَتْ بِهِ حَمَلًا - يَعْنِي أَنَّهُ اسْتَفْظَعَ هَذِهِ الكَلِمَةَ فَأَتَى أَبِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَدَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الأَنْصَارِيَّ، فَقَالَ
الأَنْصَارِيُّ: رَجَوْتُ أَجْرَ الأَثَرِ وَالمَمْشَى، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ))
، وَمِنَ النَّاسِ اليَوْمَ مَنْ أَوْجَعَهُ تَوَافُدُ المَصْلِينَ عَلَى المَسَاجِدِ كَالقَاطَا تَتَوَارَدُ عَلَى المَنْهَلِ
فَالمَسْجِدُ بَيْتُ اللهِ (أَوْرَاحِنَا تَتَلَاقِي فِيهِ خَافِقَةٌ** كَالنَّحْلِ إِذْ يَتَلَاقِي فِي خَلَائِجِهِ) فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ
يَتَصِيدُونَ الأَعْدَارَ وَيَتَصَدَّرُونَ الشَّاشَاتِ مَهُونِينَ مِنْ شَأْنِ الجَمَاعَةِ وَمَثِيرِينَ لِمَسَائِلِ الخِلَافِ
الثَّابِتَةِ وَلَكِنْ لَا يَمْتَنِيهَا الحَالُ القَائِمُ مِنْ تَهَامُونَ الكَثِيرِينَ بِأَمْرِ الصَّلَاةِ ، وَمَا بَالُ أَحَدِهِمْ يَذْكَرُ
الخِلْفَ وَكَأَنَّهُ رَأَى مَنْ رَبَطَ نَفْسَهُ بِسَارِيَةِ المَسْجِدِ حَتَّى لَا يَجْرَّ مِنْ طَوْلِ قِيَامِهِ .
فَالخِلَافُ الشَّرْعِيُّ الصَّحِيحُ لَهُ مَقْتَضِيَاتٌ وَأَحْوَالٌ تَتَغَيَّرُ بِهَا الأَحْكَامُ وَلَا يَدْرِكُ هَذِهِ المَقْتَضِيَاتِ
إِلَّا عُلَمَاءُ الأُمَّةِ القَاضُونَ بِالحَقِّ العَادِلُونَ بِهِ ، فَمَهْمَا بَحَثَ الرَّاكَضُونَ لِلشَّهْرَةِ فِي الكُتُبِ
وَاجْتَرَأُوا النُّصُوصَ وَاسْتَكْتَرُوا النُّقُولَاتِ فَإِنَّ عَتَبَاتِ المَقَاصِدِ وَالتَّنْظُرِ فِي المَالَاتِ مُلْكَةٌ وَصِنَاعَةٌ
لَا تَأْتِي إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ المَتَمَثِّلَةِ فِي مَجَالِسَةِ العُلَمَاءِ وَمَبَاحِثَتِهِمْ وَأَحْذِ المَهَارَةَ عَنْهُمْ .